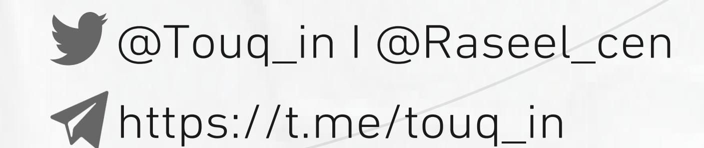


الابتـــــلاء والكـــارمـــا.

بقلم / ميمــونة محمـد دريـدر

"احذر! ستصيبك "كارما" سيئة!"،هـذا ما خـتم بـه الناصـح توجـــيهه، عند رؤيتـه لأحدهم وهو يقترف ذنبًا، وفي ظني أن هذا المشهد وللأسف تكرر مع الكثيرين، وأمر اعتيادي ألا نجهد أنفسنا في التفكير بالخلفية التي انطلق منها الناصح في التوجيه، لأنه وكما يقول الشاعر: شرح البديهيات إهدارٌ لفهم المدركين.

إن الجميع يدرك أن اقتراف الخطأ أمر سيء، غير محبذ، وتنفر النفوس السليمة منه فطريًا، عدا إن كان هذا الخطأ ذنبًا، يجلب معصية الخالق سبحانه! فهنا يجب على المسلم أن ينهى أخاه عنه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ولكننا لا نلبث إلا متفاجئين مستغربين، عندما يبرر هذا الشخص نصحه بالتحذير السابق! فمنذ متى كان المسلم يحذر من الخطايا لأن ما تسمى بالكارما ستلاحقه؟! منذ متى كنا نفعل الخير كي نتقيها؟ وهل يفهم هذا الشخص وأمثاله من المسلمين حقاً ما تعنيه أم أنهم فقط يرددون ما يسمعونه دون فهم؟!





لقد شاع هذا اللفظ "كارما Karma" بين العامة كثيراً؛ نظرًا لانتشار الفلسفات الباطنية وكثافة الترويج لها؛ بتحريفها عن مفهومها الحقيقي تارة، وربطها بالنصوص الشرعية التي لا علاقة لها بها بهتانًا وزورًا تارةً أخرى، فتجد وللأسف كثيرين يتلفظون بكلام لا يعقلونه، ويفهمونه فهمًا مغلوطًا، ومن ذلك استخدام هذا اللفظ؛ حيث أنك عندما تسأل الناصح عن معناه سيجيبك بـ: "إنها وببساطة مبدأ مساوٍ لمفهوم البلاء والجزاء في الإسلام ولـ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَره *وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَره﴾"

وهذا ما يبعث في النفس الحسرة على أولئك المتأثرين بفلسفات الشرق، فمن البديهيات العقلية: فهم الكلمة، ومنطلقاتها، ومآلاتها، قبل القول بها أو اعتقادها، ولا يمكن إدراك الكارما بدون ردّها إلى اللغة والبيئة التي انبثقت منها، بحكم أنها ليست لفظةً عربية.

فالأصل في الكارما أنها كلمة سنسكريتية تعني: "العمل"، وتطلق -اصطلاحًا- على ما يُعرف بمبدأ أو قانون "السبب والنتيجة" في الفلسفة الشرقية.

كما أنها جزء من منظومة فكرية باطلة، تفسر الظواهر الكونية بعيدًا عن نور الوحي الإلهي الحق. وقد تحدثت كتب الفيدات الهندوسية وغيرها عن الكارما بشكل مفصّل يوضح الجذور العقدية لهذا المبدأ، فتجدها شائعة في كثير من الديانات الشرقية، كالهندوسية -أصالة- والبوذية والجينية والسيخية، وكذلك الطاوية، وهذا ما يناقض قول من يدعي بأنه لا علاقة لها بالدين، فإن كانت هذه التي تعد من أساسيات عقائدهم الفاسدة لا علاقة لها، فما هو الذي له علاقةٌ إذًا؟!



تعـد الكارما حصـيلة ما يقوم به الإنســان من أعـمال، سواء كانت أقوالاً أو أفعالاً أو مجرد أفكار؛ ثم ما يترتب على هذه الأعمال من آثار على مجرى حياته، وهكذا يكون الإنسان مسؤولاً عن كل ما سيصيبه! ولما كان الواقع مناقضًا لهذه الفلسفة، حيث قد يوجد من هو سيء السلوك، ظاهر الفساد ولا يظهر أثر ذلك على حياته، كان لابد من تمديد فترة العقاب إلى مرحلة حياتية أخرى من خلال السمسارا! أو ما يسمى بعقيدة "تناسخ الأرواح"، وهي تعني: أن من عمل عملاً حسناً ستنسخ روحه لشيءٍ حسن، ومن عمل عملاً قبيحًا ستنسخ روحه لشيء قبيح، أي أن الروح تنتقل بعد موت الجسد إلى جسم آخر، بحسب الأعمال التي اقترفتها، ولا يُتحرر من دوامة التناسخ هذه -والتي هي في معتقدهم نوعٌ من العذاب- إلا بالاتحاد مع الإله المطلق وحصول الاستنارة والإشــراق! ولهـم ممارساتهـم وطــقوسهـم التي -بزعمـهم- ستوصلـهم إلى هذا المـبتغى.

إذًا ترتبط "الكارما" كما نرى بعقيدة التناسخ الكفرية ارتباطًا وثيقًا، بحيث أنها تحـدد مصــير الإنســان في حياته التاليــة، فيزعمون أن المرء قد يعود إلى الحياة على هيئة آلهة إذا حقق درجة الكمال بأعماله، ويحذرون من إمكانية العودة بعد الموت إلى الدنيا في جسد حيوان، بل ويعتقد البوذيون أن بعض الديدان والحشرات ليست سوى كائنات بشرية ممسوخة! ولهذا يمتنعون عن قتلها. فكيف حاولوا الربط والتلبيس بينها وبين البلاء والجزاء في الإسلام، والاختلاف بينهما اختلاف إيمان وكفر، حق وباطل، نور وظلام، هدي وضلال؟! ولكنها لا تعمى الأبصار، وإنما تعمى القلوب التي في الصدور.



وسنذكر هاهنا بعض مغالطات هذا الربط الباطل، في عدة نقاط، والتي توضح مدى استغفال المروجين لعقول المتلقين:

١. لما ابتعد القوم عن الوحي الحق؛ ضاعوا في وديان الحيرة! فلم يفهموا لمَ يوجد هذا التباين في توزيع الرزق والنعم، مما جعلهم يغرقون في فلسفات باطلة، لا برهان لهم فيها ولا دليل! فالكارما وغيرها من معتقداتهم الفاسدة هي أفكار مختلقة، ليست قائمة على وحي معصوم وإنما ديانات وثنية مخترعة. ولعل الفلاسفة الشرقيين قد أوجدوا الكارما، كي تحكم أخلاقيات الفرد في مجتمعهم اللاديني، الذي لا يؤمن بالرقابة الإلهية ولا بالحساب والعقاب! فكان مجتمعاً همجيًا عبثيًا. أما نحن -ولله الحمد والمنة- مستغنون بدين الله الحق عن هذه الاعتقادات الباطلة، والملل المخترعة، فنؤمن بأن الله على كل شيء حفيظ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأن الله سيحاسب عباده على مثاقيل الذر من الأعمال، فلا نحتاج إلى اعتقاد وهميٍّ لا دليل عليه كي ننتهي عن إثم، أو سيء الأقوال والأعمال والأخلاق.

٢. هذه العقيدة تتعارض تعارضاً صريحاً مع ركنين من أركان الإيمان الستة، وهما: الإيمان بالقضاء والقدر، والإيمان باليوم الآخر، ولو تعمقنا أكثر لفهمنا أنها تنبثق من عقيدة وحدة الوجود الفاسدة! وتنكر الإيمان بالله الحق، وغاية هذه الفكرة هي الوصول إلى مرحلة الاتحاد مع الإله المطلق، والألوهية -عياذًا بالله- فهي إلحاد على وجه الحقيقة.

---

* وحدة الوجود: مذهب لا ديني، جوهره نفي الذات الإلهية، حيث يوحِّد بين الله -تعالى عن ذلك علوا كبيرا- وبين الطبيعة، على نحو ما ذهب إليه الهندوس أخذاً من فكرة يونانية قديمة، وانتقل إلى بعض غلاة المتصوفة كابن عربي وغيره، وكل هذا مخالف لعقيدة التوحيد في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى منزه عن الاتحاد بمخلوقاته أو الحلول فيها.



٣. يزعمون أن الكارما حتمية النتائج، قانون مهيمن على كل المخلوقات، يراقب تصرفاتهم، ويدبر المقادير، ويجازيهم على الأعمال، فهي عاملة ومؤثرة في أقدار الجميع شاءوا أم أبوا، انتبهوا أو غفلوا، أما عقيدة الجزاء في الدين الإسلامي، فمختلفة عن هذا اختلافاً جوهريًا، فالجزاء قد يعجل في الدنيا وقد لا يعجل، فيكون في الآخرة، وهو معتمد على تدبير الله وأسمائه وصفاته، فإن شاء عفى وغفر، وإن شاء أمهله بعد زمن، وإن شاء أخره إلى يوم القيامة، وإن شاء عاقبه بجنس ما فعل، وإن شاء عاقبه من غير جنسه.

وأنا هنا أتسائل! إذا كان الإنسان مسؤولاً عن قدره بأفعاله الحسنة والسيئة، وأن للكارما تلك الخصائص الربوبية كما قالوا، فأين الله الذي كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؟! والذي قال جل جلاله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ،إن ديننا الإسلامي يؤكد مسؤولية العبد في الاختيار والعمل، لا النتيجة والقدر.

فهذا كفرٌ صريح، ومنازعة لله تعالى في ربوبيته، وتصرفه في خلقه وملكه! لأنه سبحانه هو المقدر لكل ما يقع في الكون؛ فما يقع في الكون من خير، فهو بتقديره؛ وما يقع من شر فهو بتقديره أيضًا، وهذا ما يناقض قولهم الذي يرد مصير الإنسان إلى نفسه، وأن كل شيءٍ يحدث كنتيجةٍ لفعلٍ فعله! سواء في هذه الحياة أو حياة سابقة كما يزعمون، يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ويقول أيضاً: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.



٤.نظرتهم للبلاء الذي يصيب الإنسان نظرة جائرة، تلقي باللوم على المصاب دائمًا، فكل ما يلقاه ليس إلا جزاءً لأفعاله، سواء تذكرها أم لا! مما أدى إلى تعزيز الطبقية المقيتة في المجتمع الهندوسي، فهذا الفقير هو سبب فقره، وهذا المريض هو سبب مرضه، وهذا الغني المعافى هو من سبّب ذلك لنفسه...،فيعاقب الشخص على ذنب قد لا يعرفه ولا يذكره ولا سبيل للتوبة منه.

٥. أن لديهم سببًا واحدًا باطلاً يفسرون به بلاء الإنسان، فما هو لديهم إلا نتيجة لفعل فعله بالضرورة! أما البلاء في ديننا الإسلامي -والذي لا حق سواه- فيكون لأسباب عدة منها: أنه بسبب ذنب فعله الإنسان فعصى الله به فاستحق عقوبته! وهو تقصير من عند نفس الإنسان يعيه ويعلمه، فحصل العقاب له بتقدير الله عز وجل، لا لأنه قانون عامل لوحده! فالخير والشر من عند الله، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّه﴾، ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، ولكنه سبحانه -وهو العليم الحكيم- يقدر الشر والضر لسبب؛ فما أصابك أيها الإنسان من خير فهو بتقدير الله ومنه عليك وكرمه، وبسبب من أعمالك الصالحة، وما أصابك من شر فبسبب ذنوبك الطالحة، ولا يظلم ربك أحدًا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.



ولكن لا يعني ذلك بالضرورة أن المذنب سيلقى عقابه في الدنيا، بل هذا مناقضٌ للواقع! فكم من عاصٍ نراه قد أوتي الدنيا بما فيها؟! وكم من فاسدٍ لم يلق نصبًا في الحياة! فهل يقول عاقل أن هذا النعيم الذي يعيشه هو دليل رضا الله عنه؟! وأنه لم يقترف ذنباً يستحق به العقاب؟! إنما هو استدراج وامتحان، فيمهله الله تعالى حتى إذا أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر! يقول صل الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة)، ويقول تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأكُلُوْا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ﴾ ، ويقول كذلك: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِنَّمَا نُمْلِيْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِيْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوْا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ﴾ ، ويقول أيضاً: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

كما أن البلاء كما ذكرت آنفًا ليس محصورًا في عقاب المذنب! فقد يُبتلى المؤمن تكفيرًا لما اقترفه من معاصي،يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أصاب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى إلا كفر الله به من خطاياه حتى الشوكة يشاكها).

وقد يبتلى اختبارًا له وامتحانًا، يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فمن قابل الابتلاء بالصبر والتسليم وقال: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فسوف يجازيه الله يوم القيامة على صبره بما جاء بعدها: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون﴾.



وقد يبتلى رفعًا للدرجات واستزادة من الحسنات! يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن العبد إذا سبقتْ له من اللهِ منزلة لم يبلغهَا بعمله ابتلاه الله في جسدده أو في ماله أو في ولده) ، وخير مثالٍ على ذلك أنبياء الله -صلوات الله عليهم- فهم أشد الناس بلاءً، وهذا بلا شك لم يكن من أجل أنهم أعظم ذنبًا من غيرهم، وإنما هو رفعة لدرجاتهم، ودليل ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: (قلت: يا رسـول الله أيُّ النـّاس أشـد بـلاء؟ قال : الأنبيـاء ثم الأمثـل فالأمثـل، فيبتلـى الرجـل علـى حسـب دينـه، فإن كان دينه صلبًا اشتدَّ بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلاه اللهُ على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئة).

وتارة أيضاً لا تظهر الحكمة في البلاء، ولكن المؤمن موقنٌ بأنه بتدبير الحكيم العليم.

٦. إن الكارما، والسمسارا التي لا تنفك عنها هي عقيدة من لا يؤمن بالبعث، ولا بالحساب، ولا بالجنة ولا بالنار -عياذا بالله- يقول الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، فهم يعتقدون بانتقال النفس من جسدٍ لآخر بعد الموت، إذا لم تحصل لها الاستنارة والفناء في إلههم المسمى بالبراهمان، إذن فالاعتقاد بها ناقضٌ للإيمان بالله تعالى واليوم الآخر! وقد أجمع المسلمون على أن من كذّب بالبعث فقد كفر كفرًا مخرجًا من الملة، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.



٧. الصحيح هو الرجوع إلى الشرع، أو العقل والفطرة، عند تحديد حسن الأعمال وسوئها، ولكن لدى مبدأ الكارما يُتجنب الكذب مثلاً، لا لأنه ذنب محرم! أو لأن النفوس تأباه وتكرهه، بل لأن مرجعيتهم الفاسدة والتي هي فلسفة "الدارما Dharma " تقرر ذمه وتقبيحه، كما يمكن لها أن تُعد كبيرة من الكبائر عملاً رائعًا يولّد لفاعله كارما حسنة! فالكارما إذًا مبدأ لا يقوم على معيار قيمي، أو أخلاقي، أو شرعي. ولا يمكن حينئذ أن تقول بأن الكارما هي ذات الجزاء في الإسلام إطلاقًا.

٨. يلغي القول بالكارما غاية العمل الصالح، من عبادة لله تعالى، وكسب رضاه، وتحصيل الأجر الآخروي المرجو منه! لأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخرة أساسًا، فيكون العمل الصالح الذي يفعلونه فقط من أجل تحصيل خير دنيوي، والترقي في مستويات الوعي ليستنير الشخص، ويعطي ليأخذ فحسب، واجتنابه للسوء يكون من أجل اتقاء كارما تحاسبه وتلاحقه! ونحن لا نقول إلا أن الله تبارك وتعالى هو المحاسب لعباده المراقب لأعمالهم، المجازي لهم! لا كارما كفرية غير موجودة لا شرعًا، ولا عقلاً، ولا حسًا، يقول تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

فكم نحن في غنى عن استخدام هذه المصطلحات المشكلة، التي جاء ديننا بما يناقضها، والتي يأبى العقل أن يصدقها، والتي لا تنتمي إلى بيئتنا ولا إلى ثقافتنا ولا إلى لغتنا، وأجزم أن المسلم الذي يبتغي الحق ويخاف على دينه، عندما يعلم بما تكنه هذه الألفاظ من مخالفاتٍ عقدية سيتورع كل الورع منها، ومما تردي إليه! هذا وعلينا التذكر دائمًا بأن الحق لا يشبه الباطل، ولكن الباطل يموّه بالحق عند من لا فهم له.



المـــــراجـــــع:

أولا: المــراجــع العــربيـــة

القـرآن الكريـم

الرشيد، هيفاء. حركة العصر الجديد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

الرشيد، هيفاء. التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية.

موقع: الإسلام سؤال وجواب، مقال بعنوان: الكارما اعتقاد وثني خبيث من الهندوس.

قناة اسأل البيضاء، انظر:

https://t.me/ask_albaydha/793

https://t.me/ask_albaydha/793

https://t.me/albaydha/330

ثانيا: المــراجـــع الأجـــنبية

Peter Harvey An Introduction to Buddhist Ethics Cambridge University Press 2000, pg 239.

